

لطاقف المعارف

علامات الحج المبرور .

للحج المبرور علامات لا تخفى : قيل للحسن : الحج المبرور جزاؤه الجنة ؟ قال : آية ذلك : أن يرجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة و قيل له : جزاء الحج المغفرة ؟ قال : آية ذلك : أن يدع سيئ ما كان عليه من العمل الحج المبرور مثل : حج إبراهيم بن أدهم مع رفيقه الرجل الصالح الذي صحبه من بلخ فرجع من حجه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة و خرج عن ملكه و ماله و أهله و عشيرته و بلاده و اختار بلاد الغرب و قنع بالأكل من عمل يده إما من الحصاد أو من نظارة البساتين حج مرة مع جماعة من أصحابه فشرط عليهم في ابتداء السفر أن لا يتكلم أحدهم إلا ١ تعالى و لا ينظر إلا له فلما وصلوا وطافوا بالبیت رأوا جماعة من أهل خراسان في الطواف معهم غلام جميل قد فتن الناس بالنظر إليه فجعل إبراهيم يسارقه النظر و يبكي فقال له بعض أصحابه : يا أبا اسحاق ألم تقل لنا : لا ننظر إلا ١ تعالى ؟ فقال : ويحك هذا ولدي و هؤلاء خدمي و حشمي : .

(هجرت الخلق طرا في هواك ... و أيتمت العيال لكي أراكا) .

(فلو قطعني في الحب إربا ... لما حن الفؤاد إلى سواكا) .

قال بعض السلف : استلام الحجر الأسود هو أن لا يعود إلى معصية يشير ما قاله ابن عباس يمينه قبل و ١ صافح فكأنما صافحه و استلمه فمن الأرض في ١ يمين الأسود الحجر أن : هما B و قال عكرمة : الحجر الأسود يمين ١ في الأرض فمن لم يدرك بيعة رسول ١ صلى ١ عليه و سلم فمسح الركن فقد بايع ١ ورسوله و ورد في حديث : [أن ١ لما استخرج من ظهر آدم ذريته و أخذ عليهم الميثاق كتب ذلك العهد في رق ثم استودعه هذا الحجر فمن ثم يقول : من يستلمه و فاء بعهدك فمستلم الحجر يبايع ١ على اجتناب معاصيه و القيام بحقوقه] { فمن نكث فإنما ينكث على نفسه و من أوفى بما عاهد عليه ١ فسيؤتيه أجرا عظيما } يا معاهديننا على التوبة بيننا و بينكم عهد أكيدة أولها : يوم { ألت بربكم } فقلتم بلى و المقصود الأعظم من هذا العهد : أن لا تعبدوا إلا إياه و تمام العمل بمقتضاه : أن اتقوا ١ حق تقواه و ثانيهما : يوم أرسل إليكم رسوله و أنزل عليكم في كتابه : { و أوفوا بعهدي أوف بعهدكم } قال سهل التستري : من قال لا إله إلا ١ فقد بايع ١ فحرام عليه إذ بايعه أن يعصيه في شيء من أمره في السر و العلانية أو يوالي عدوه أو يعادي وليه : .

(يا بني الإسلام من علمكم ... بعد إذ عاهدتم نقض العهود) .

(كل شيء في الهوى مستحسن ... ما خلا الغدر و إخلاف الوعود) .

و ثالثها : لمن حج إذا استلم الحجر فإنه يجدد البيعة و يلتزم الوفاء بالعهد المتقدم :

{ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه { الحر الكريم لا ينقض العهد القديم : .

(أحسبتم أن الليالي غيرت ... عقد الهوى لا كان من يتغير) .

(يفنى الزمان و ليس ننسى عهدكم ... و على محبتكم أموت و أحشر) .

إذا دعئك نفسك إلى نقض عهد مولاك فقل لها : معاذ الله : { إنه ربي أحسن مثوأي إنه لا يفلح الظالمون { اجتاز بعضهم على منظور مشتهى فهمت عينه أن تمتد فصاح : .

(حلفت بدين الحب لا خنت عهدكم ... و ذلك عهد لو عرفت وثيق) .

تاب بعض من تقدم ثم نقض فهتف به هاتف بالليل : .

(سأترك ما بيني و بينك واقفا ... فإن عدت عدنا و الوداد مقيم) .

(تواصل قوما لا وفاء لعهدهم ... و تترك مثلي و الحفاظ قديم) .

من تكرر منه نقض العهد أيوثق بمعاهدته دخل بعض السلف على مريض مكروب فقال له : عاهد الله على التوبة لعله أن يقلبك صرعتك فقال : كنت كلما مرضت عاهدت الله على التوبة فيقلني فلما كان هذه المرة ذهبت أعاهد كما كنت أعاهد فهتف بي هاتف من ناحية البيت : قد أقلناك مرارا فوجدناك كذابا ثم مات عن قريب لا كان من نقض العهد من كان ما ينقض العهد إلا خوان .

(ترى الحي الالى باتوا ... على العهد كما كانوا) .

(أم الدهر بهم خاننا ... و دهر المرء خوان) .

(إذا عز بغير الله ... يوما معشر هانوا) .

من رجع من الحج فليحافظ على ما عاهد الله عليه عند استلام الحجر حج بعض من تقدم فبات بمكة مع قوم فدعته نفسه إلى معصية فسمع هاتفا يقول : ويلك ألم تحج فعصمه الله من ذلك قبيح بمن كمل القيام بمباني الإسلام الخمس أن يشرع في نقض ما يبني بالمعاصي في حديث مرسل خرج ابن أبي الدنيا : [أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لرجل : يا فلان إنك تبني و تهدم - يعني تعمل الحسنات و السيئات - فقال يا رسول الله : سوف أبني و لا أهدم : .

(خذ في جد فقد تولى العمر ... كم ذا التفريط فقد تدانى الأمر) .

(أقبل فعسى يقبل منك العذر ... كم تبني كم تنقض كم ذا العذر) [.

علامة قبول الطاعة أن توصل بطاعة بعدها و علامة ردها أن توصل بمعصية ما أحسن الحسنه بعد الحسنه و أقبح السيئة بعد الحسنه ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها النكسة أصعب من المرض الأول ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة ارحموا عزيز قوم بالمعاصي ذل و غني قوم بالذنوب افتقر سلوا الله الثبات إلى الممات و تعوذوا من الحور بعد الكور كان الإمام أحمد يدعو و يقول : اللهم أعزني بطاعتك و لا تذلني بمعصيتك و كان عامة دعاء إبراهيم بن أدهم

: اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة في بعض الآثار الإلهية يقول [تبارك و

تعالى : أنا العزيز فمن أراد العز فليطع العزيز .

(ألا إنما التقوى هي العز و الكرم ... و حبك للعز هو الذل و السقم) .

(و ليس على عبد تقي نقيصة ... إذا حقق التقوى و إن حاك أو حزم) .

الحاج إذا كان حجه مبرورا غفر له و لمن استغفر له و شفع فيمن شفع فيه و قد روي : [إن [تعالى يقول لهم يوم عرفة : أفيضوا مغفورا لكم و لمن شفعتكم فيه] و روى الإمام أحمد بإسناده [عن أبي موسى الأشعري قال : إن الحاج ليشفع في أربعمئة بيت من قومه و يبارك في أربعين من أمهات البعير الذي يحمله و يخرج من خطاياهم كيوم ولدته أمه فإذا رجع من الحج المبرور رجع و ذنبه مغفور و دعاؤه مستجاب فذلك يستحب تلقيه و السلام عليه و طلب الإستغفار منه] .

و تلقي الحاج مسنون و في صحيح مسلم [عن عبد الله بن جعفر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر تلقى بصبيا أهل المدينة و إنه قدم من سفر - فسق بي إليه فحملني بين يديه ثم جاء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة] و قد ورد النهي عن ركوب ثلاثة على دابة في حديث مرسل فإن صح : حمل على ركوب ثلاثة رجال فإن الدابة يشق عليها حملها بخلاف رجل و صغيرين و في المسند و صحيح الحاكم [عن عائشة قالت : أقبلنا من مكة في حج أو عمرة فتلقانا غلمان من الأنصار كانوا يتلقون أهاليهم إذا قدموا] .

و كذلك السلام على الحاج إذا قدم و مصافحته و طلب الدعاء منه و في المسند بإسناد فيه ضعف [عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا لقيت الحاج فسلم عليه و صافحه و مره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له] و فيه أيضا عن حبيب بن أبي ثابت قال : خرجت مع أبي نتلقى الحاج و نسلم عليهم قبل أن يتدنسوا و روى معاذ بن الحكم حدثنا موسى بن أعين عن الحسن قال : إذا خرج الحاج فشيعوهم و زدوهم الدعاء و إذا قفلوا فالقوهم و صافحوهم قبل أن يخالطوا الذنوب فإن البركة في أيديهم و روى أبو الشيخ الأصبهاني و غيره من رواية لبنت عن مجاهد قال : قال عمر : يغفر للحاج و لمن استغفر له الحاج بقية ذي الحجة و محرم و صفر و عشر من ربيع الأول و في مسند البزار و صحيح الحاكم [من حديث أبي هريرة مرفوعا : اللهم اغفر للحاج و لمن استغفر له الحاج] و روى أبو معاوية الضرير عن حجاج عن الحكم قال : قال ابن عباس : لو يعلم المقيمون ما للحاج عليهم من الحق لأتوهم حين يقدمون حتى يقلوا رواحلهم لأنهم وفد الله في جميع الناس ما للمنقطع حيلة سوى التعلق بأذيال الواصلين : .

(هل الدهر يوما بوصل يجود ... و أيامنا باللوى هل تعود) .

- (زمان تقضى و عيش مضى ... بنفس و انا تلك العهود) .
- (إلا قل لزوار دار الحبيب ... هنيئا لكم في الجنان الخلود) .
- (أفيضوا علينا من الماء فيضا ... فنحن عطاش و أنتم ورود) .
- أحب ما إلى المحب سؤال من قدم من ديار الحبيب :
- (عارضا بي ركب الحجار أسائله ... متى عهده بأيام سلع) .
- (و استملا حديث من سكن الخيف ... و لا تكتباه إلا بدمعي) .
- (فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي) .
- (من معيد أيام جمع على ما ... كان منها و أين أيام جمعي) .
- لقاء الأحباب لقاح الأبواب و أخبار تلك الديار أحلى عند المحبين من الأسمار :
- (إذا قدم الركب بمعمعتهم ... أحى الوجوه قدوما و وردا) .
- (و أسألهم عن عقيق الحمى ... و عن أرض نجد و من حل نجدا) .
- (حدثوني عن العقيق حديثا ... أنتم بالعقيق أقرب عهدا) .
- (ألا هل سمعتم ضجيج الحجيج ... على ساحة الخيف و العيس تحدا) .
- (فذكر المشاعر و المروتين ... و ذكر الصفا يطرد الهم طردا) .
- أرواح القبول تفوح من المقبولين و أنوار الوصول تلوح على الواصلين :
- (تفوح أرواح نجد من ثيابهم ... عند القدوم لقرب العهد بالدار) .
- (أهفو إلى الركب تعلو لي ركائبهم ... من الحمى في إسحاق و اطمار) .
- (يا راكبان قفا لي و اقضيا و طرى ... و حدثاني عن نجد بأخبار) .
- ما يؤهل للإكثار من التردد إلى تلك الآثار إلا محب مختار حج علي بن الموفق ستين حجة قال :
- فلما كان بعد ذلك جلست في الحجر أفكر في حالي و كثرة تردادي إلى ذلك المكان و لا أدري هل قبل مني حجي أم رد ثم نمت فرأيت في منامي قائلا يقول لي : هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب قال : فاستيقظت و قد سري عني ما كل من حج قبل و لا كل من صلى وصل قيل لابن عمر ما أكثر الحاج ؟ قال : ما أقلهم و قال : الركب كبير و الحاج قليل حج بعض المتقدمين فتوفي في الطريق في رجوعه فدفنه أصحابه و نسوا الفأس في قبره فنبشوه ليأخذوا الفأس فإذا عنقه و يدها قد جمعت في حلقة الفأس فردوا عليه التراب ثم رجعوا إلى أهله فسألوهم عن حاله ؟ فقالوا صحب رجلا فأخذ ماله فكان يحج منه :
- (إذا حججت بمال أصله سحت ... فما حججت و لكن حجت العير) .
- (لا يقبل إلا كل صالحة ... ما كل من حج بيت الله مبرور) .
- من حجه مبرور قليل و لكن قد يوهب المسية للمحسن و قد روي : [أن الله تعالى يقول عشية عرفة : قد وهبت مسيئكم لمحسنكم] حج بعض المتقدمين فنام ليلة فرأى ملكين نزلا من السماء

فقال أحدهما للآخر فكم حج العام ؟ قال : ستمائة ألف فقال له : كم قبل منهم ؟ قال : ستة
قال : فاستيقظ الرجل و هو قلق مما رأى فرأى في الليلة الثانية كأنهما نزلا و أعادا
القول و قال أحدهما : إن الله وهب لكل واحد من الستة مائة ألف كان بعض السلف يقول في
دعائه : اللهم إن لم تقبلني فهبني لمن شئت من خلقك من رد عليه عمله و لم يقبل منه فقد
يعوض ما يعوض المصاب فيرحم بذلك قال بعض السلف في دعائه بعرفة : اللهم إن كنت لم تقبل
حجي و تعبى و نصبى فلا تحرمنى أجر المصيبة على تركك القبول منى و قال آخر منهم : اللهم
ارحمنى فإن رحمتك قريب من المحسنين فإن لم أكن محسنا فقد قلت : { و كان بالمؤمنين
رحيما } فإن لم أكن كذلك فأنا شيء و قد قلت : { و رحمتى وسعت كل شيء } فإن لم أكن شيئا
فأنا مصاب برد عملي برد عملي و تعبى و نصبى فلا تحرمنى ما وعدت المصاب من الرحمة قال
هلال بن يسار : بلغنى أن المسلم إذا دعا الله فلم يستجب له كتب له حسنة خرج ابن أبي شيبة
يعنى جزاء المصيبة رده .

(من كان في سخطه محسنا ... فكيف يكون إذا ما رضى)